علاقة العقل بالإيمان بين النصرانية والإسلام

د. إبراهيم التهامي
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
دبي - الإمارات العربية المتحدة .

ملخص البحث:

هذا البحث هو عبارة عن مناقشة ورد على شبهتين اثنتين يرددهما الغربيون من رجال دين ومستشرقين ومفكرين عن الإسلام، وهو أنه دين يتعارض في تعاليمه وأحكامه مع العقل، والشبهة الثانية أنه دين يقوم على العنف، وأن انتشاره وفتوحاته كانت بالسيف وليس عن طريق الإقناع، وبينت أنا بأنهما شبهتان باطلتان لا تمتان إلى الحقيقة بصلة وأنهما شبهتان تصدقان على الديانة النصرانية المحرفة وأوضحت ذلك بالأدلة وبشهادة العلماء الغربيين أنفسهم.

إن هذا البحث الذي أقدمه بين يدي القارئ هو عبارة عن رد على شبهتين اثنتين: أولاهما تتمثل في أن الإسلام يناقض العقل، وثانيتهما أنه انتشر بالسيف وليس بالإقناع، ورغم أن الشبهتين قديمتان قالتهما الكنيسة ورجال الدين النصارى منذ قرون طويلة لتشويه صورة الإسلام وصورة الرسول صلى الله عليه وسلم، وللتحريض على قتاله وقتال المسلمين، وصرف الناس عن الدخول فيه، إلا أنه ما زال أتباعهم من رجال الدين والمنصرين والمستشرقين والكتاب المتعصبين يرددونهما إلى اليوم، ويعلنون الحرب على الإسلام بهما وبغيرهما من الافتراءات التي يفترونها عن الإسلام.

والموضوع مهم لأنه يدخل في إطار مقارنة الأديان، وهو علم جدير بالاهتمام والعناية لما فيه من فوائد كبيرة، ومن كشف عن الجوانب الإيجابية والسلبية في الأديان السماوية وما فيها من جوانب الاتفاق والاختلاف، وأيضا مهم لأنه يبرز عظمة الإسلام ومزاياه وفضائله ومواءمته للفطرة

الإنسانية بخلاف الديانات الأخرى، وبخاصة الديانة النصرانية التي عبثت بها الأيدي ومسختها وشوهتها إلى درجة أنها لم يبق فيها من الدين الذي جاء به عيسى عليه السلام شيء.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وعدة مباحث، ذكرت في التمهيد الدوافع التي دفعتني لكتابة هذا البحث والموضوعات التي تناولتها، وبينت العداء المتأصل لدى النصارى وأهل الكتاب عموما ضد الإسلام، وذكرت على ذلك الشهادات من الغربيين أنفسهم. وأما المباحث، فتناولت في المبحث الأول التحريفات التي وقعت في العقيدة المسيحية والبدع التي ابتدعتها الكنيسة ورجال الدين النصارى وأضافوها إلى دينهم، مثل عقيدة التثليث و المصلوبية، والعشاء الرباني والرهبانية وغيرها والتي شوهت الدين النصراني أيما تشويه.

وأما المبحث الثاني: فرددت فيه على شبهة مخالفة الإسلام للعقل، وبينت بأن هذه التهمة تصدق على الدين النصراني المحرف وليس على الإسلام، وذكرت الأدلة على ذلك، كما بينت بأن الإسلام كرم العقل وأعلى من شأن العلم والعلماء عكس الكنيسة التي أعلنت الحرب على العلماء وقتلتهم وهذا الذي يفسر العداء القائم بين الدين والعلم إلى اليوم في أوربا.

وأما المبحث الثالث فتناولت فيه بالرد الشبهة الثانية أو التهمة الثانية وهي المتعلقة بانتشار الإسلام بالسيف وليس بالإقناع، وهي تهمة باطلة، وبينت بأنها تصدق أيضا على دين النصارى المحرف، وليس على الإسلام.

هذا، وإن كنت قد وفقت فذلك من الله وإن كانت الأخرى فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان.

تمهيد:

الموضوع الذي أقدمه بين يدي القارئ، برزت فكرته لديّ قبل عدة سنوات وبالذات بعد التصريحات التي أدلى بها بابا الفاتيكان فينيديكت، بابا الفاتيكان الأسبق، حول الإسلام

ورسوله صلى الله عليه وسلم، والتي اتهم فيها النبي صلى الله عليه وسلم بأنه لم يأت بما يتفق مع العقل، واتهم فيها الإسلام بأنه دين عنف انتشر بقوة السيف وليس عن طريق الإقناع، وقد تزامنت هذه التصريحات مع الأزمة التي أحدثتها الرسوم الكاريكاتورية التي نشرت في الصحف الدانماركية، والتي صور فيها النبي – صلى الله عليه وسلم – بصور غير لائقة، في هذا الوقت بالذات الذي كان فيه المسلمون يعالجون آثار هذه الأزمة، والصدمة التي أحدثتها تلك الرسوم في نفوسهم في حق نبيهم الذي يحبونه ولديهم الاستعداد الكامل لأن يفدوه بأموالهم وأنفسهم، جاءت تصريحات البابا لتصب الزيت على النار .كما يقال . وبدلا من أن يعمل هذا الرجل من موقعه كزعيم ديني وقائد روحي لأكثر من مليار مسيحي منتشرين عبر المعمورة، على لملمة الأمور والتخفيف من غضب المسلمين، ومحاولة طمأنتهم بدعوة الدانمارك مثلا للاعتذار عن تلك الرسوم، أو عمل أي شيء من شأنه أن يخفف من حدة الصدمة، بدل ذلك كله راح يدلي بهذه التصريحات التي تؤكد عداء الغرب عموما للإسلام، وللرسول الأكرم – صلى الله عليه وسلم – والذي يؤكد هذا أكثر هو إصراره على رفض الاعتذار عن تلك التصريحات رغم أنه وعد بذلك في الأول، ولكنه تراجع عن وعده بعد ذلك، وهو موقف لا يختلف عن موقف السياسيين الذين رفضوا أي اعتذار أو أي معاقبة لتلك الصحف، واعتبروا مواقفهم تلك نابعة من تقديسهم لحرية الرأي، وهو كلام غير صحيح، لأن هؤلاء الذين يحتجون علينا بحرية الرأي، عندما يتعلق الأمر بإسرائيل تنقلب مواقفهم رأسا على عقب، بدليل ما فعلوه بروجي جارودي المفكر الفرنسي المعروف من مصادرة لحريته، وتجريده من حقوقه وحبسه، لمجرد أنه شكك في حجم ضحايا الهولوكوست (المحرقة)، هو لم ينكر الهولوكوست، ولكنه شكك فقط في عدد ضحاياه، وقال إن العدد المعلن — وهو ستة ملايين– والذي يبتز به اليهود الدول الكبرى مُبالَغٌ فيه، وقدم على ذلك الأدلة الواضحة والصريحة فكان جزاؤه على ذلك أن صودرت كتبه وجرد من حقوقه —كما قلت[1] — وهكذا فعلوا مع الكثيرين غيره مثل: فيشر لاعب الشطرنج العالمي وغيره.

وهذه التصريحات وما تضمنته من اتهامات لرسول الإسلام – صلى الله عليه وسلم– ولدين الإسلام ليست جديدة في الحقيقة، ولا هي الأولى منوعها ولا هي الأخيرة، بل إن العداء للإسلام ورسول الإسلام من قبل النصارى قديم قدم هذا الدين، فمنذ أن جاء نبينا – صلى الله عليه وسلم – بآخر الرسالات وهو يتعرض لحملة التشويه والعداء من قبل أعداء الإسلام، فقالوا عنه: إنه كذاب و مجنون وكاهن وشاعر وغير ذلك من الاتهامات، وقد صرح القرآن في كثير من المواضع بذلك، قال تعالى: {**وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا**} [البقرة 217] وهو تعبير يدل على الاستمرارية وعدم التوقف وهذا هو الذي كان بالفعل، وقال أيضا: {**قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ**} [آل عمران 118] أي أن هذا الذي يصدر منهم من حين لآخر سواء عن طريق الكاريكاتير كما حدث في الدنمارك وفي غيرها، أو عن أي طريق آخر ما هو إلا جزء يسير من الحقد الذي يكنّونه في صدورهم تجاه الإسلام و تجاه رسول الإسلام – صلى الله عليه وسلم – ويقول تبارك وتعالى في آية أخرى: {**إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ**} [الممتحنة2]، وهي آية صريحة في أن هؤلاء "لا تعرض لهم فرصة يتمكنون فيها من المسلمين حتى يتصرفوا معهم تصرف العدو الأصيل، ويوقعوا بهم ما يملكون من أذى ومن تنكيل، بالأيدي وبالألسنة وبكل وسيلة وكل سبيل، إنهم يتظاهرون للمسلمين في ساعة قوة المسلمين وغلبتهم بالمودة، وينخدع بهم المسلمون ويمنحونهم المودة والثقة ولكنهم في حقيقتهم لا يريدون للمسلمين إلا الاضطراب، ولا يقصرون في إعنات المسلمين ونثر الشوك في طريقهم، والكيد لهم ما واتتهم الفرصة من ليل أو نهار"[2]، ويقول تعالى: {**كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً**} [التوبة 8]، ولم يقتصر إيذاؤهم للنبي صلى الله عليه وسلم على السب والشتم والنبز بالعبارات الجارحة، بل امتد إلى محاولة قتله عليه الصلاة والسلام عدة مرات، وقد تجلى ذلك في قصة اليهودية التي وضعت له السم في الشاة المصلية، ولكن الله تعالى نجاه منها[3]، واستمر الإيذاء بعد ذلك وبأشكال متنوعة على أيدي المستشرقين والمنصرين والمفكرين والسياسيين والمثقفين الغربيين.

لقد كانت الحروب الصليبية التي امتدت قرنين من الزمان (1096ـ1291م) وجها من وجوه تلك الحرب على الإسلام، وترجمة لذلك العداء، وكذلك كانت الحروب الصليبية الثانية التي احتلت فيها الدول الأوربية البلاد الإسلامية، واقتسمتها فيما بينهما ابتداء من القرن 19 الميلادي، ولا تزال الحرب على الإسلام قائمة إلى يوم الناس هذا بدون انقطاع وفي كل مكان، وفي الآونة الأخيرة تكثفت حملات الغرب على الإسلام، ورسول الإسلام صلى الله عليه وسلم، وهذا رغم مؤتمرات الحوار بين الإسلام والغرب التي تقام من حين لآخر في أوروبا والبلاد العربية والإسلامية، والتي كان من المنتظر أن تخفف من حدة تلك الحملات، وتغيّر من تعصّب الغرب ضدّ الإسلام، ولكن الذي يحدث هو عكس ذلك تماما، ومن صور تلك الحملات وذلك الكيد:

الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم التي نشرت في الصحف الدانماركية.

في ألمانيا قام رجل يدعى مانفريد فان هاير بوضع آيات بينات من القرآن الكريم، وصور لحوالي خمسة عشر مسجدا، منها المسجد الحرام، والمسجد الأقصى والجامع الأموي وجامع الأزهر، على مناديل المراحيض، وهو قمة .

شركة في إيطاليا مختصة في صناعة أغطية المراحيض أنتجت قبل مدة أغطية مكتوبا عليها آية الكرسي.

أحد الزعماء اليمينيين من النرويج يتهم النبي صلى الله عليه وسلم بأنه مغرم بحب الصبيان بدليل زواجه من عائشة وهي طفلة صغيرة[4].

أحد النواب اليمينيين الهولنديين أعلن أنه سينتج فيلما عن الإسلام سيحرق فيه القرءان الذي وصفه بأنه كتاب رهيبٌ وَ قَاسٍ، وأنه لا يختلف عن كتاب هتلر (كفاحي)[5].

معلمة بريطانية تُدَرّسُ في مدرسة إنجيلية في السودان أحدثت أزمة دبلوماسية بين السودان وبريطانيا بسبب أنها سمت كلبها باسم محمد صلى الله عليه وسلم. وكل يوم تطلع علينا الأخبار بأشياء من هذا القبيل.

وأعود إلى كلام فينيديكت لأقول بأن ما صدر عنه من اتهامات للنبي صلى الله عليه وسلم وللإسلام يصدق على دينه المحرف وليس على الإسلام، فدين النصارى الذي عبثت به أيدي التحريف والتبديل، وحولته من دين للتوحيد إلى دين وثني، ومن دين يحرم الخبائث إلى دين يحللها ويجيزها عن طريق الرهبان والقسس الذين كانوا كلما عنّ لهم أمر أو مصلحة عقدوا مُجَمّعا للنّظر في ديانة المسيح عليه السلام، وقاموا بالتبديل وفق ما تقتضيه مصالحهم ومصالح الأقوياء، وجعلوها دينا يطاع ويتبع، هذا بالنسبة للأمر الأول وهو ما يتعلق باتهام النبي صلى الله عليه وسلم بأنه لم يأت بما يوافق العقل.

وأما الأمر الثاني، وهو قوله في الإسلام بأنه انتشر بحدّ السيف وليس بالإقناع فهو أيضا اتهام باطل وافتراء رخيس، يصدق على دينه وليس على دين الإسلام. والواقع يؤكد هذا، وهذا ما سأبينه وأوضحه فيما يلي من البحث.

المبحث الأول: العقيدة في النصرانية

العقيدة في النصرانية كما جاء بها عيسى عليه السلام من عند الله تبارك وتعالى لا تختلف عن عقيدة الإسلام، وعن عقيدة الرسل جميعا عليهم السلام، فهي عقيدة توحيد كما صرح بذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: {**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**} [الأنبياء25]، وكما أخبر عن عيسى – عليه السلام – أنه يقول يوم القيامة حين يسأله الله تعالى:{**أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ**} [المائدة116]، فيجيب عليه السلام: {**قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ**

الْغُيُوبِ (116) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ} [المائدة116، 117]، وقال تعالى في آية أخرى: {**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ**} [المائدة72].

ولكن هذه العقيدة لم تعمر طويلا حتى نُقِضَت وبُدِّلَت وحُرِّفَت وحَلّت مَحَلّها عقيدة التثليث والشرك والوثنية، والأسباب التي أدت إلى هذا التغيير والتحريف كثيرة، منها: أن الله تعالى لم يتعهّد بحفظ كتبهم كما تعهد بحفظ القرءان الكريم بل أوكل ذلك إلى أهل هذه الديانة النصرانية أنفسهم فلم يحفظوها، قال تعالى: {**إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ**} [المائدة44]، وقال في القرءان الكريم: {**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**} [الحجر9][6]، وإذا حُرِّفت مصادر المعرفة، فبطبيعة الحال ستحرف تبعا لها العقائد والعبادات والأحكام.

السبب الآخر: هو الاضطهاد الذي تعرض له النصارى أثناء حياة عيسى عليه السلام وبعده على يد الرومان، مما جعلهم يختفون وتضيع منهم أصول الإنجيل ويفقد السند إلى عيسى عليه السلام، وكان أول شيء حرف في هذه الديانة هو العقيدة، حيث انتقلت من التوحيد إلى التثليث، ومعنى التثليث هو أن الإله في العقيدة المسيحية مؤلف ومكون من ثلاثة أقانيم (شخوص) وهم :الأب والابن وروح القدس، وهذه العقيدة اتفق عليها جمهور المسيحيين، وبعض المسيحيين يجعلون في مكان روح القدس مريم – عليها السلام – ومعنى هذا أنهم كلهم متفقون على التثليث، الاختلاف الوحيد هو في شخص مريم وروح القدس، وهذه العقيدة لم تقر إلا في سنة 325 للميلاد في مجمع نيقيا وفي 381 في مجمع القسطنطينية، حيث قضت هذه المجامع بأن الابن وروح القدس مساويان للأب في وحدة اللاهوت وأن الابن ولد منذ الأزل من الأب وأن روح القدس منبثق من الأب، ومجمع طليطلة المنعقد سنة 589

للميلاد حكم بأن روح القدس منبثق من الابن أيضا، والعجيب أن الكنيسة قبلت بهذه الزيادة[7].

(المسلمون على اختلافهم ... أشاعرة وماتريدية ومعتزلة ومرجئة وخوارج، وسلف وخلف، ومثبتة ومعطلة ومؤولة ومفوضة لم يختلفوا في أن الله تعالى واحد لا شريك له) فالعقيدة تطورت عند النصارى من التوحيد إلى الوثنية في الأخير، والتي استقر عليها المسيحيون آخر أمرهم، واستمر التجاذب بين التوحيد والتعدد أكثر من ثلاثة قرون إلى أن استقرت الكنيسة في سنة 325م و381م على عقيدة التثليث.

ورغم اتفاقهم على التثليث إلا أنهم اختلفوا اختلافا كبيرا في تفسيره واختلفوا في قيمة

كل أقنوم من الأقانيم منفردا أو بالنسبة إلى المجموع:

فذهبت طائفة إلى أن كلا من هذه الأقانيم الثلاثة هو إله بذاته كالإله المجموع (الثالوث)، وذهبت طائفة ثانية إلى أنّ كلّ أقنوم هو إله بذاته ولكن دون الإله المجموع، وأما الطائفة الثالثة فقد ذهبت إلى أنّ هذه الأقانيم ليست آلهة بمفردها إنما الإله هو مجموعها . أي الثالوث . فهذه كما نرى أكبر قضية في أي ديانة، اختلفوا فيها كل هذا الاختلاف[8].

يقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب في كتابه (المسيح في القرءان والتوراة والإنجيل)[9]: "فلقد التقت المسيحية بالوثنية فصافحتها مصافحة المسالمة والموادعة بل والمصادقة فلم تنكر عليها وجها من وجوهها، بل إن دعاة المسيحية ورسلها الأولين قد غيروا وبدلوا في صميم الشريعة لكي تجيء على سمت التفكير الوثني وما استقر في نفوس الوثنيين وحياتهم من تقاليد وعادات".

ويقول درابر الكاتب الأمريكي في كتابه (العلم والدين): "ودخلت الوثنية والشرك في النصرانية بتأثير المنافقين الذين تقلدوا وظائف خطيرة ومناصب عالية في الدولة الرومية

بتظاهرهم بالنصرانية، ولم يكونوا يحفلون بأمر الدين، ولم يخلصوا له يوما من الأيام، وكذلك كان قسطنطين، فقد قضى عمره في الظلم والفجور، ولم يتقيد بأوامر الكنيسة إلا في آخر عمره"[10]، ويقول: "إن الجماعة النصرانية وإن كانت قد بلغت من القوة بحيث ولت قسطنطين الملك، ولكنها لم تتمكن من أن تقطع دابر الوثنية وتقتلع جرثومتها، وكان نتيجة ذلك أن اختلطت مبادئها ونشأ من ذلك دين يتجلى فيه النصرانية والوثنية سواء بسواء، هنالك يختلف الإسلام عن النصرانية إذ قضى على منافسه الوثنية قضاء مبرما ونشر عقائده خالصة من غير غش"[11]. ويقول د. أحمد شبلي في كتابه عن المسيحية[12]: "لقد أحدث بولس[13] في المسيحية أحداثا خطيرة نقلها من التوحيد إلى التثليث، وقال بألوهية المسيح وألوهية روح القدس".

وبولس هذا ـ كما هو معلوم ـ هو المؤسس الحقيقي للمسيحية المتبعة الآن من هؤلاء الملايين، وهي ديانة لا علاقة لها بدين المسيح عليه السلام، يقول ويلز المؤرّخ الإنجليزي: "وظهر لوقت معلّم آخر عظيم يعدّه كثير من الثقات العصريين المؤسس الحقيقي للمسيحية وهو بولس وكان يهوديا وتعلّم من اليهود"[14].

وهذا التثليث لم تستطع الكنيسة ولا المفكرون الغربيون أن يجدوا له تفسيرا أو إجابة مقنعة أمام الأسئلة الملحة التي كانت تطرح عليهم، فمهما حاول عقل بشري أن يتصور أن الثلاثة واحد، والواحد ثلاثة فإنه لا يستطيع أن يصل فيها إلى نتيجة، و لذلك اكتفت بالرد بأن هذا سر لا ينبغي السؤال عنه ولا البحث فيه.

وهكذا كان رأي القديس أوغسطين (ت430م) في التثليث وفي الأمور الأخرى التي ابتدعها رجال الكنيسة والتي لا يوجد لها تفسير حيث قال: "إن كل ما جاء به الإنجيل لا ينبغي للعقل أن يجادل فيه لأن سلطان الكنيسة أقوى من كل سلطان أقر به العقل البشري"[15].

وهكذا قال أيضا القديس توما الإكويني (ت 1271م) حيث يقرر بأن "الحقائق التي يقدمها الإيمان لا يقوى العقل على التدليل عليها، ففي استطاعة العقل أن يتصور ماهية الله ولكنه لا يستطيع أن يدرك تثليث الأقانيم ومن دلل على عقيدة التثليث في الأقانيم حقّر من شأن الإيمان"[16].

ويقول القس باسيلوس من الكنيسة الشرقية: "إن هذه التعاليم عن التثليث فوق إدراكنا ولكن عدم إدراكنا لها لا يبطلها"[17]. ويقول أحدهم في تبرير السكوت عن التثليث: "إن تسمية الثالوث باسم الأب والابن وروح القدس تعتبر أعماقا إلهية وأسرارا سماوية لا يجوز لنا أن نتفلسف في تفكيكها وتحليلها أو أن نلصق بها أفكارا من عندياتنا"[18].

وهنا قد يعترض علينا ـ نحن المسلمين ـ معترض ويقول لنا: إن الأديان كلها بما فيها الإسلام لا تخلو من مغيبات أو حقائق لا يستطيع العقل إدراكها، والإجابة عن ذلك: إنّ هناك فرقا كبيرا بين ما يحكم العقل باستحالته كالتثليث وبين ما لا يستطيع إدراكه، والإسلام وإن كان فيه من النوع الأخير فهو يخلو تماما من النوع الأول[19].

ومن التفسيرات المضحكة لعقيدة التثليث ما فسرها به القديس أوغسطين العالم والفيلسوف المعروف في القرن 3 م، حيث يقول: "جميع علماء العهد القديم والعهد الجديد الكاثوليك الذين أتيح لي أن أقرأ لهم والذين كتبوا من قبلي في موضوع التثليث كلهم يقول: إن الأب والابن وروح القدس يشكلون بالمجموع وحدة إلهية لا تقبل التقسيم في كنهها وحقيقتها فليسوا ثلاثة آلهة وإنما هم إله واحد وبما أن الأب خلق الابن فالأب ليس بالابن والابن ليس بالأب وروح القدس ليس بالأب ولا الابن وإنما هو روح الأب والابن يوجد فيهما سواء ويشاركهما في الوحدة الثالوثية"[20].

ورغم أن جمهور المسيحيين يقولون بعقيدة التثليث التي أقرها مجمع نيقيه ومجمع القسطنطينية إلا أن هناك فرقا عدة أنكرت ألوهية المسيح، فهذه أكبر قضية وأخطرها في أي

ديانة وقع فيها كل هذا الاختلاف وأضيف إليها أشياء ما أنزل الله بها من سلطان، ومع ذلك أقرتها الكنيسة التي تعتبر نفسها المسؤول الأول عن حماية هذا الدين.

في الإسلام، كل من حاول أن يضيف إلى الدين شيئا قاومه العلماء والأئمة، فعندما قالت السبئية عن الإمام علي رضي الله عنه: إنه إله، حفر لهم الأخاديد وألقاهم فيها ثم أضرم فيهم النار وكذلك فعلوا بالحلاج وبغيره من المبتدعة.

- **عقيدة المصلوبية:**

من الخرافات والبدع التي اخترعتها الكنيسة ورجال الدين في الديانة المسيحية عقيدة المصلوبية، أي صلب عيسى السلام، وحتى يبرروا هذه البدعة وهذا القول الظاهر البطلان قالوا: إن المقصود من الصلب هو أن الصلب لم يقع على الجزء الإلهي من المسيح ولكن وقع على الجزء الإنساني منه فقط، يعني على الناسوت وليس على اللاهوت، وهذه العقيدة قررت بعد مجمع نيقية الذي قرر فيه التثليث، وإذا كان التثليث أقر في اجتماع نيقية واجتماع القسطنطينية فإن عقيدة المصلوبية ظهرت إلى الوجود عن طريق الصدفة أو عن طريق المنام، كيف ذلك؟

تذكر كتبهم أن قسطنطين الذي تبنى المسيحية وهو الذي كان يقوم باضطهاد المسيحيين قبل ذلك، رأى سنة 312م أيام ما كان يحارب خصومه رأى في السماء رسم صليب، وفي سنة 326م عثرت أمه في مكان ما على صليب فادعى النصارى أنه هو الصليب الذي صلب عليه عيسى عليه السلام (تصوروا عقائد تقوم على الزعم والدعاوي والخرافات) وأصبح يحتفل في الثالث من مايو من كل سنة بهذه المناسبة وأصبح الصليب شعارا للمسيحية يستعملونه في كل طقوسهم[21]، ثمّ كيف يقدّس الصليب وهو في اعتقادهم الذي سبب الأذى للمسيح – عليه السلام – ولقد صدق المعري عندما قال[22]:

عجبا للمسيح بين النصارى وإلى أي والد نسبوه

أسلموه إلى اليهود وقالوا إنهم بعد ضربه صلبوه

فإذا كان ما يقولون حقا وصحيحا فأين كان أبوه

حين خلى ابنه رهين الأعادي أتراهم أرضوه أم أغضبوه

فلئن كان راضيا بأذاهم فاحمدوهم لأنهم عذبوه

ولئن كان ساخطا فاتركوه واعبدوهم لأنهم غلبوه

- **عقيدة الكفارة:**

العقيدة الأخرى التي ابتدعها النصارى هي عقيدة الكفارة، وتقوم هذه العقيدة على أن: الإنسان قد طرد من رحمة الله بسبب الذنب الذي ارتكبه آدم عليه السلام حين أكل من الشجرة التي نهاه الله عنها، وأن كل البشر أصابهم ذلك الذنب الذي لم يرتكبوه وليس لهم يد فيه، وإنما ورثوه من أبيهم آدم عليه السلام.

إن كلمة الابن إنما حلت في الجزء الإنساني من المسيح (لأنه هو متكون من جزء إلهي وإنساني) طبعا هذا كله من أجل تبرير انحرافاتهم، وحتى يقترب الإنسان من رحمة الله من جديد ويغفر له ذلك الذنب الذي لم يقترفه وإنما ورثه، فإن الله تعالى تعامل مع الخلق المذنبين بالرحمة وفداهم بالمسيح ابنه الذي تحمل عنهم كل شيء، ولكن هذه الكفارة خاصة بمن يؤمن بالمسيح ويأخذ بتعاليمه، أمّا غيرهم مّن لا يؤمن بالمسيح فلا تناله هذه المكرمة.

ورغم أن هذه العقيدة تخالف ما في العهد القديم إلا أنها قررت حتى يبرروا بها عقائدهم الضالة، جاء في العهد القديم: "النفس التي تخطئ هي تموت، الابن لا يحمل إثم الأب، والأب

لا يحمل إثم الابن، بر البارّ عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون"، وهذا هو الذي يتفق مع العقل والمنطق، والقرآن يقول: {**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ**} [المدثر38]، ويقول: {**وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أخرى**} [الأنعام164] على كل حال هناك من المسيحيين من ينكر هذه العقيدة.

- **بدعة العشاء الرباني:**

العشاء الرباني الذي يحتفل به عند المسيحيين هو العشاء الذي أكله عيسى عليه السلام مع الحواريين قبيل اعتقاله وقتله وصلبه -كما يزعمون- بيوم واحد، وقد جاء بيان حال هذا المجلس ووصفه في إنجيل متى بما يلي: "وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر، وأعطى التلاميذ وقال: خذوا كلوا هذا هو جسدي، وأخذ الكأس وشكر، وأعطاهم قائلا: اشربوا منها كلكم لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا"[23]، ويضيف لوقا في إنجيله أن المسيح قال بعد ذلك لتلاميذه: "اصنعوا هذا لذكري"[24].

هكذا نشأت بدعة العشاء الرباني عند المسيحيين وهكذا نشأت معظم العقائد عندهم، بالصدفة تنشأ عقيدة ويلزمون بها الناس ويفرضونها عليهم، وتصبح عقيدة ملزمة على الأتباع دون دليل ولا برهان من كتاب أو عقل.

- **بدعة الرهبانية:**

من الأمور المبتدعة في الديانة النصرانية والتي تصادم الفطرة والعقل جميعا بدعة الرهبنة، وقد ذكر القرآن الكريم هذه البدعة في قوله تعالى: {**وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا**} [الحديد27]، قال ابن كثير في تفسيره: "ذمهم الله في هذه الآية مرتين، الأولى لابتداعهم هذه البدعة، والثانية لأنّهم لم يراعوها ولم يلتزموا بها" اهـ . بتصرّف[25]. وقد انتشرت الرهبانية بشكل كبير في القرون الوسطى، فقد جاء في كتاب

(تاريخ أخلاق أوروبا) أنه "كان يجتمع في أيام عيد الفصح خمسون ألفا من الرهبان، وفي القرن الرابع المسيحي كان راهب واحد يشرف على خمسة آلاف راهب وكان الراهب (سرايس) يرأس عشرة آلاف راهب، وقد بلغ عددهم في نهاية القرن الرابع رقما كبيرا جدا"[16].

ومن عجائب الرهبان كما ذكر ذلك الشيخ أبو الحسن الندوي –رحمه الله– في كتابه القيم (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين)[27] ما روى المؤرخون من أن الراهب ماكاريوس نام ستة أشهر في مستنقع ليقرص جسمه العاري ذباب سام، وكان يحمل دائما نحو نصف قنطار من حديد، وكان صاحبه الراهب (eusebius) يحمل نحو قنطارين وقد أقام نحو ثلاثة أعوام في بئر، وقد عبد الراهب يوحنا (john) ثلاث سنين قائما على رجل واحدة، وكان بعض الرهبان يمشون على أيديهم وأرجلهم كالأنعام، وكان أكثرهم يسكنون في مغارات السباع والآبار النازحة والمقابر، ويأكلون الحشيش، وكانوا يعدون طهارة الجسم منافية لنقاء الروح، ويتأثمون من غسل الأعضاء، وأزهد الناس عندهم وأنقاهم أبعدهم عن الطهارة وأوغلهم في النجاسات والدنس. يقول الراهب أنتهينس: "إن الراهب أنتوني لم يقترف إثم غسل رجليه طول عمره، وكان الراهب أبراهام لم يمس وجهه ولا رجليه بالماء خمسين سنة، وقال الراهب الاسكندري بعد زمن: لقد كنا في زمن نعد غسل الوجه حراما فإذا بنا ندخل الحمامات"[28].

وكانت الرهبانية قد ولّدت القسوة في قلوب أصحابها على الأقارب، فكان الرهبان تقسو قلوبهم على الآباء والأمهات والأولاد فيخلفون الأمهات تعاني والأزواج أيامي والأولاد يتامى عالة يتكففون الناس ويخرجون قاصدين الصحراء للزهد والعبادة همهم الوحيد أن ينقذوا أنفسهم في الآخرة لا يبالون عاشوا أو ماتوا .

"وكانوا يفرون من ظل النساء، ويتأثمون من قربهن والاجتماع بهنّ، وكانوا يعتقدون أن مصادفتهن في الطريق والتحدث إليهن . ولو كنّ أمهات وأزواجا أو شقيقات . تحبط أعمالهم وجهودهم الروحية"[29] .

إن النصرانية الرومية حاولت تغيير الفطرة وإزالتها بهذه الطريقة الغريبة فلم تفلح، وانتقلبت بعد ذلك إلى ضدها تماما، وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةً، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةً، فَمَنْ كَانَت فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّةٍ فَقَدِ اهْتَدَى، وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى غَيْرِ سُنَّةٍ فَقَدْ ضَلَّ"[30]. هذا هو الذي حدث بالفعل، حيث انقلبت حياة القساوسة والرهبان رأسا على عقب، وانتقلت من حياة الزهد والرهبنة إلى حياة الترف والفجور، وأصبحوا ينافسون في هذا الجانب الأمراء والأغنياء والمترفين، يقول الراهب جروم: "إن عيش القسوس ونعيمهم كان يزري بترف الأمراء والأغنياء والمترفين، وقد انحطت أخلاق البابوات انحطاطا عظيما، واستولى عليهم الجشع وحب المال، وعَدَوا طورهم حتى كانوا يبيعون المناصب والوظائف كالسلع، وقد تباع بالمزاد العلني، ويؤجرون أرض الجنة بالوثائق والصكوك وتذاكر الغفران، ويمنحون شهادات النجاة وإجازات حل المحرمات والمحظورات، ويرتشون ويرابون، وقد بذّروا المال تبذيرا حتى اضطر البابا أنوسنت الثامن أن يرهن تاج البابوية... إلى غير ذلك مما ذكره في هذا الجانب[31]، ويقول سيد قطب رحمه الله: "وجاءت عصور كان للكنيسة أملاك وجيوش وسلطان لا تقل عن أملاك الملوك وجيوشهم وسلطانهم"[32].

وقد اتسع سلطان البابوية ورجال الدين في القرن الحادي عشر حتى كانوا يسيطرون على معظم أوروبا واستغلوا هذا السلطان لأنفسهم بدل أن ينفعوا به غيرهم، وبقيت أوروبا تتسكع في دياجير الجهل والخرافة والانحطاط، وفي هذه العصور لم يتضاعف عدد سكان أوروبا بسبب حياة العزوبة التي كان القسس يزينونها للناس ويرغبون فيها، كما أن الكهان رفضوا الأطباء فانتشرت الأوبئة والأمراض في طول القارة وعرضها.

- **معاداة الكنيسة للعقل والعلم واضطهادها للعلماء:**

ونأتي الآن لنتحدث عن ثالثة الأثافي وقاصمة الظهر . كما يقال . وهي عداء الكنيسة ورجال الدين للعلم والعلماء، فبالإضافة إلى ما تقدم من تحريف للعقيدة في الديانة المسيحية

وابتداع واختراع عقائد جديدة ما أنزل الله بها من سلطان من قبل الكنيسة ورجال الدين الذين نصبوا أنفسهم آلهة من دون الله يغيرون ويبدلون في الدين كيف شاؤوا، فقد حشروا أنفسهم وأقحموا أنوفهم حتى في النواحي العلمية.

لقد بلغ من تجني الكنيسة ورجال الدين في أوربا أن استحوذوا على كلّ شيء حتّى على التفسير العلمي للكون وللطبيعة، وأعطوا لهذا التفسير صبغة دينية بحيث أصبح يحرم مخالفته أو مناقشته، حتى الجغرافيا تدخّلوا فيها وألّفوا فيها التآليف وسمّوها الجغرافيا المسيحية، وكفّروا كلّ من لم يَدِن بها.

وعندما انفجر بركان العقلية في أوربا، وزيّف العلماء تلك النظريات العلمية التي اشتملت عليها تلك الكتب، قامت قيامة الكنيسة وجنّ جنونها، فكفّرت هؤلاء العلماء وحرّضت عليهم، واضطهدتهم واستحلّت دماءهم وأموالهم، وأنشأ البابوات محاكم التفتيش لمعاقبة الملحدين والزنادقة والهراطقة، وهم العلماء الذين خالفوا تفسير الكنيسة للكون وللطبيعة، وبثوا عيونهم في كلّ مكان، واجتهدت الكنيسة أن لا تترك عرقا نابضا ضدها، وأحصت على الناس أنفاسهم، ويقدّر عدد من عاقبتهم هذه المحاكم بثلاثمائة ألف، أحرق منهم اثنان وثلاثون ألفا أحياء، كان من بينهم العالم الطبيعي برونو، الذي نقمت عليه الكنيسة أرآءه المخالفة لأرائها فحكمت عليه بالقتل ولكن دون أن تراق قطرة من دمه، ويعني ذلك أن يحرق حيا، وهذا الذي كان، وعوقب العالم الطبيعي الشهير غاليليو بالقتل، لأنّه كان يعتقد بدوران الأرض حول الشمس وذلك مخالف لتفسير الكنيسة[33].

وهذا السلوك من الكنيسة هو الذي جعل المجددين المتنوّرين في أوربا يثورون على الكنيسة، ويعلنون الحرب عليها وعلى رجالها وعَادَوا الدين المسيحي أولا، ثمّ الدين مطلقا ثانيا، وقرروا: أنّ العلم والدين ضرّتان لا تتصالحان، وأن العقل والنظام الديني ضدّان لا يجتمعان، فمن

استقبل الأوّل استدبر الثاني، ومن هنا نشأت العداوة بين الدين والعقل في أوربا والعالم المسيحي عموما[34].

المبحث الثاني: العقيدة في الإسلام والعقل

هذه هي الحال التي آلت إليها الديانة النصرانية في كل المجالات، انحراف في العقائد وفي التصور، وخرافات وظلمات في كل النواحي، ولا مكان للعقل ولا للعلم فيها.

ونأتي الآن لنتحدث عن الإسلام واهتمامه بالعقل لنبين بأن عقائده قائمة على البرهان والدليل وليس على الأوهام والخرافات، ونقوم بالمقارنة بينه وبين الدين النصراني ونرد على هذا الذي يزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأت بما يتفق مع العقل.

لقد اهتم الإسلام بالعقل إلى درجة كبيرة جدا، وأولاه عناية خاصة، وجعله مناط التكليف، والحاكم الذي يلجأ إليه في معرفة الأشياء وبيان صحتها من فسادها وحسنها من قبحها، فنجد القرآن الكريم يوجهنا إلى استعمال العقل وتوظيفه في مسائل العقيدة، والاستدلال على وجود الله تعالى وقدرته وعلى صدق الرسالة التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنظر في الكون وفي الأنفس فقال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾[البقرة 164]، يقول الواحدي في تفسيره: "فعلمهم الله عز وجل بهذه الآية كيفية الاستدلال على الصَّانع وعلى توحيده وردَّهم إلى التفكُّر في آياته والنَّظر في مصنوعاته"[35]، وقال تعالى: {**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**}[محمد 19].

يقول ابن عطية: "واحتج بهذه الآية من قال من أهل السنة: إن العلم والنظر قبل القول والإقرار في مسألة أول الواجبات. وبوب البخاري رحمه الله: العلم قبل القول والعمل لقوله تعالى: {**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ**} الآية[36]".

ومن الأدلة على اهتمام القرآن بالعقل قوله تعالى: {**قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ**}[يُونُسَ: 101]، وقوله: {**أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ**} وقوله: {**أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ**}[الْغَاشِيَة 17]، وقوله: {**سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ**}[فُصِّلَتْ 53] وَذكر النظر والتفكر في معرض المدح، أي أن الله تعالى مدح أصحابه فقال تعالى: {**إِنَّ فِي ذلِكَ لَذِكْرى لِأُولِي الْأَلْبابِ**}[الزُّمَر21]، {**إِنَّ فِي ذلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصارِ**}[آلِ عِمْرَانَ 13]، {**إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِأُولِي النُّهى**} [طه54].

وفي مقابل ذلك ذمّ القرآن الكريم المقلدين الذين يأخذون عقائدهم عن طريق التقليد لآبائهم، هكذا دون تمحيص ولا بحث عن دليل تلك العقائد ومصادرها وحقيقتها فقال تعالى: {**وَكَذلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ**} [الزُّخْرُف 23] وَقَالَ: {**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**} [البقرة170] وَقَالَ: {**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ**} [لقمان 21] وقال سبحانه: {**قالوا بَلْ وَجَدْنا آباءَنا كَذلِكَ يَفْعَلُونَ**} [الشُّعَرَاء 74] وَقَالَ: {**إِنْ كادَ لَيُضِلُّنا عَنْ آلِهَتِنا لَوْلا أَنْ صَبَرْنا عَلَيْها**} [الْفُرْقَان: 42].

يقول الإمام الرازي بعدما أورد هذه الأدلة على الاهتمام بالعقل في الإسلام وتوجيهه للنظر في الأدلة للاستدلال على وجود الله، ونعيه على المقلدين الذين يتبعون كالأنعام التي لا تعقل: "وَكُلُّ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى وُجُوبِ النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ وَالتَّفَكُّرِ وَذَمِّ التَّقْلِيدِ فَمَنْ دَعَا إِلَى النَّظَرِ

وَالاسْتِدْلَال، كَانَ عَلَى وَفْقِ الْقُرْآنِ وَدِينِ الْأَنْبِيَاءِ وَمَنْ دَعَا إِلَى التَّقْلِيدِ كَانَ عَلَى خِلَافِ الْقُرْآنِ وَعَلَى وِفَاقِ دِينِ الْكُفَّار"[37]، وورد في السنة المطهرة أنه لما نزل قوله تعالى: **{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيات لأولي الألباب}** الْآيَةَ، قال عليه الصلاة والسلام: "أنزلت علي الليلة آية، ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها"[38] بل ذهب المتكلمون من المعتزلة، ومن الأشاعرة والماتريدية إلى وجوب النظر وأنه لا يصح إيمان من لم ينظر ولم يتفكر في الأدلة حيث يقول الإيجي من الأشاعرة: "أجمعت الأمة على وجوب معرفة الله، ومعرفة الله لا تتم إلاّ بالنظر، وما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب"[39]. ويقول القاضي عبد الجبار من المعتزلة[40]: "إن أول الواجبات هو النظر المؤدي إلى معرفة الله تعالى، لأنه تعالى لا يعرف ضرورة ولا بالمشاهدة، فيجب أن نعرفه بالتفكر والنظر"، فانظر إلى أي مدى بلغ الاهتمام بالعقل والثقة به عند المسلمين حتى جعلوه حاكما في معرفة الله تعالى وصدق الرسول، وقارن بين هذا وبين ما عند النصارى من خرافات وأساطير وأوهام والتي تعتبر عقيدة عندهم.

وهذه شهادة لأحد أقطاب الفكر الغربي المعاصرين وهو موريس بوكاي في كتابه المشهور (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم) يبين فيها اهتمام الإسلام بالعلم، بل يجعل العلم والدين في الإسلام توأما فيقول: "ولكم نحن مدينون للثقافة العربية في الرياضيات وعلم الفلك والفيزياء والجيولوجيا وعلم النبات والطب إلى غير ذلك. لقد اتخذ العلم لأول مرة صفة عالمية في جامعات العصر الوسيط الإسلامية. في ذلك العصر كان الناس أكثر تأثرا بالروح الدينية مما هم عليه في عصرنا، ولكن ذلك لم يمنعهم من أن يكونوا في آن واحد مؤمنين وعلماء، كان العلم الأخ التوأم للدين"[41]، وفي موضع آخر يقول: "ولكن علينا أن نتذكر أن في عصر عظمة الإسلام، أي بين القرن الثامن والقرن الثاني عشر من العصر المسيحي، وفي حين كانت تفرض القيود على التطور العلمي في بلداننا المسيحية أنجزت كمية عظيمة من الأبحاث والمكتشفات بالجامعات الإسلامية ففي قرطبة كانت مكتبة الخليفة تحتوي على أربعمائة ألف مجلد، وكان

الكثيرون يسافرون من بلاد أوربا للدراسة بقرطبة مثلما يحدث في عصرنا أن نسافر إلى الولايات المتحدة"[42]

فهذه شهادة من هذا العالم الغربي للإسلام تكشف عن حقيقة مهمة، وهي أنه لم ينشأ أي نزاع أو صراع في الإسلام بين الدين والعلم كما كان الحال في أوربا، الأمر الذي أدى إلى ردة فعل عنيفة من قبل العلماء بعد ذلك تجاه الكنيسة ورجال الدين حينما أخذوا بثأرهم منهم، وهذا الثأر مستمر إلى اليوم، إلى درجة أن التحدث عن الله في الأوساط العلمية في الغرب يعد مخالفا للعلم، وأن أي بحث يذكر فيه اسم الله يعتبر لاغيا، أما في الإسلام فلم يكن شيء من ذلك بل بالعكس فإن التاريخ يشهد بأن علماء في الفلك وفي الطبيعة وفي الكيمياء والطب والهندسة قد نبغوا في ظل الإسلام وكانوا هم أنفسهم مسلمين متدينين ومتقين لله كما قال تعالى: {**إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ**} [فاطر18]، فالعلماء هم الذين "يعرفون الله معرفة حقيقية. يعرفونه بآثار صنعته. ويدركونه بآثار قدرته. ويستشعرون حقيقة عظمته برؤية حقيقة إبداعه. ومن ثم يخشونه حقا ويتقونه حقا، ويعبدونه حقا"[43] ولم يقع عبر التاريخ نزاع بين العلماء والسلطات الحاكمة بسبب العلم أدى إلى قتل العلماء وتعذيبهم كما حدث لكوبرنيكوس وجاليليو وأمثالهما في العالم المسيحي[44].

المبحث الثالث: العنف واستعمال القوّة بين الإسلام والنصرانية

التهمة الثانية التي اتهم بها فينيديكت الإسلام هي أنّه انتشر بالعنف وبحد السيف وليس بالإقناع، وهذه التهمة ليست جديدة في الحقيقة، بل ورثها من أسلافه القدامى الذين كانوا يكنون الحقد لمحمد ولدينه، وها هو أحد رجال الغرب المنصفين هو برناردشو، يقص علينا كيف بدأ العداء للرسول صلى الله عليه وسلم ولدينه عند الغربيين، وكيف كان يصور الإسلام بصور مشوهة من أجل صرف الناس عنه وحتى لا ينتشر بين المسيحيين وغير المسيحيين، يقول: "لقد طبع رجال الكنيسة في القرون الوسطى دين الإسلام بطابع أسود حالك، إمّا

جهلا وإمّا تعصّبا، إنهم كانوا في الحقيقة مسوّقين بعامل بغض محمد ودينه، فعندهم أنّ محمدا كان عدوّا للمسيح، ولقد درست سيرة محمد الرجل العجيب، وفي رأيي أنه بعيد جدا من أن يكون عدوّا للمسيح إنما ينبغي أن يدعى منقذ البشرية"[45]، وهذا درمنجهايم يقول في المعنى ذاته: "يجب الاعتراف بأنّ إساءة الفهم كانت من جانب الغربيين أكثر، فعلى أثر المعارك الفكرية العنيفة التي رموا فيها الإسلام بالمساوئ، هبّ الكتّاب والشعراء المرتزقة من الغربيين وأخذوا يهاجمون العرب، فلم تكن مهاجمتهم إلاّ تهما باطلة بل ومتناقضة"[46].

ويقول موريس بوكاي: "يجب الاعتراف بالمظالم التي ارتكبها الغرب المسيحي في حق

المسلمين"[47]، فهذه اعترافات وشهادات من قبل هؤلاء المنصفين على عداء الغرب المسيحي للإسلام ولرسول الإسلام.

وسأنقل فيما يلي نصوصا عن علماء غربيين منصفين تنقض هذه الدعوى من أساسها أي دعوى أن الإسلام انتشر بالسيف وليس بالإقناع، وتبين أنّ الإسلام كان رحمة لأصحاب الأديان الذين عاشوا في ظلّه كما قال تعالى: {**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**} [الأنبياء 107]، وتبين بأن هذه التهمة تصدق تماما على ديانته المحرّفة أي الديانة النصرانية، فمن هذه النصوص ما قاله توماس أرنولد من: "أنّ المسيحيين العرب الذين يعيشون بين جماعات مسلمة لشاهد على هذا التسامح"[48]، يقصد الذين عاشوا ويعيشون إلى اليوم، ويقول في موضع آخر: "نحكم من الصلات الودية التي قامت بين المسيحيين والمسلمين من العرب بأن القوة لم تكن عاملا حاسما في تحويل الناس إلى الإسلام. فمحمد نفسه قد عقد حلفا مع بعض القبائل المسيحية، وأخذ على عاتقه حمايتهم ومنحَهم الحريةَ في إقامة شعائرهم الدينية، كما أتاح لرجال الكنيسة أن ينعموا بحقوقهم ونفوذهم في أمن وطمأنينة"[49]، وما قالته المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه في كتابها (شمس العرب تسطع على الغرب) من "أنّ العرب لم يفرضوا على الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام، فالمسيحيون والزرادشتية واليهود الذين لاقوا قبل الإسلام أبشع

أمثلة التعصّب الديني وأفظعها، سمح لهم جميعا دون أيّ عائق يمنعهم من ممارسة شعائر دينهم وترك لهم المسلمون بيوت عبادتهم وأديرتهم وكهنتهم وأحبارهم دون أن يمسّوهم بأدنى أذى، أوليس هذا منتهى التسامح؟ أين روى التاريخ مثل تلك الأعمال ومتى؟ ومن الذي لم يتنفّس الصعداء بعد الاضطهاد البيزنطي الصارخ وبعد فظائع الأسبان واضطهاد اليهود، وقد كتب بطريرك بيت المقدس في القرن التاسع لأخيه بطريرك القسطنطينية عن العرب: إنّهم يمتازون بالعدل ولا يظلموننا البتة وهم لا يستخدمون معنا أيّ عنف"[50]، وتقول أيضا: "لا إكراه في الدين: تلك هي كلمة القرآن الملزمة، فلم يكن الهدف أو المغزى للفتوحات العربية نشر الدين الإسلامي، وإنما بسط سلطان الله في أرضه، فكان للنصراني أن يظل نصرانيًا، ولليهودي أن يظل يهوديًا كما كانوا من قبل، ولم يمنعهم أحدٌ أن يؤدوا شعائر دينهم، ولم يكن أحد لِيُنزِل أذى أو ضررًا بأحبارهم أو قساوستهم ومراجعهم، وبِيَعِهم وصوامعهم وكنائسهم"[51]، وتقول في موضع آخر: "وبينما عاشت النصرانية في ظل الحكم الإسلامي قرونًا طوالاً – في الأندلس.. وفي صقلية.. والبلقان – فإن انتصار النصرانية على الإسلام – في الأندلس سنة 1492م – لم يَعْنِ سوى طرد المسلمين واليهود واضطهادهم وإكراههم على التنصُّر، واستئناف نشاط محاكم التفتيش التي قامت بتعقب كل من يتخذ سوى الكاثوليكية دينًا، والحرقِ العلني في احتفالات رسمية تحفُّها الطقوس والشعائر الكنسية لكل من اعتنق الإسلام"[52]، وتقول أيضا: "وحين تمكن صلاح الدين الأيوبي من استرداد بيت المقدس (583هـ / 1187م) التي كان الصليبيون قد انتزعوها من قبل (492هـ/1099م) بعد أن سفكوا دماء أهلها في مذبحة لا تدانيها مذبحةٌ وحشيةً وقسوةً، فإنه لم يسفك دم سكانها من النصارى انتقامًا لسفك دم المسلمين، بل إنه شملهم بمروءته، وأسبغ عليهم من جُودِه ورحمته، ضاربًا المثل في التخلق بروح الفروسية العالية، وعلى العكس من المسلمين، لم تعرف الفروسية النصرانية أي التزام خلقي تجاه كلمة الشرف أو الأسرى.. فالملك ريتشارد قلب الأسد (1157- 1199م) الذي أقسم بشرفه لثلاثة آلاف أسير عربي أن حياتهم آمنة، إذا هو فجأة متقلب المزاج فيأمر بذبحهم

جميعًا[53]". ويقول غوستاف لوبون: "فالحقّ أنّ الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب ولا دينا سمحا مثل دينهم"[54].

ويقول هنري دي شامبون مدير مجلّة (المجلة البرلمانية) الفرنسية: "لولا انتصار جيش شارل مارتل الهمجي على العرب المسلمين في فرنسا لما وقعت بلادنا في ظلمات القرون الوسطى، ولما أصيبت بفظائعها ولا كابدت المذابح الأهلية التي دفع إليها التعصّب الديني، لولا ذلك الانتصار الوحشي على المسلمين في بواتييه لظلّت إسبانيا تنعم بسماحة الإسلام، ولنجت من وصمة محاكم التفتيش، ولما تأخّر سير المدنية ثمانية قرون، ومهما اختلفت المشاعر والأراء حول انتصارنا فنحن مدينون للمسلمين بكلّ محامد حضارتنا في العلم والفنّ والصناعة مدعوّون لأن نعترف بأنّهم كانوا مثال الكمال البشري في الوقت الذي كنّا فيه مثالا للهمجية"[55].

ويقول أحد الكتّاب الأسبان، ويدعى ميشيل دي كاستيلو، في كتاب له بعنوان (أنا مسلم) مفتخرا بانتمائه للأندلس المسلمة، بعد أن يذكر مآثر المسلمين فيها وما قدّموه من خدمات لأوربا: "إنّ هذا الإرث الإسلامي الكبير لا أعتزّ به بصفتي مسلما فقط – أي أنتمي لهذه الحضارة الإسلامية– بل أعتبره مصدر اعتزاز وافتخار للإنسانية جمعاء"[56]. وقد ألّف هنري دوكاستري كتابا بعنوان (الإسلام) ردّ فيه على الأوهام المتراكمة في أوربّا في حقّ الإسلام.

وقال الأب ميشون جملة نقلها عنه غوستاف لوبون وهي: "إنّ من المحزن للأمم المسيحية أن يكون التسامح الديني الذي هو أعظم ناموس للمحبّة بين شعب وشعب هو ممّا يجب أن يتعلّمه المسيحيون من المسلمين". ونقل دوزي المستشرق الهولندي عن بوكارد الذي يعده دوزي أعرف سائح بأحوال العرب أنه قال عنهم:إنهم أشد الأمم الآسياوية تسامحا. وقال بيرون(peron) في كتابه (l islamisme): "إن من أحسن فضائل المسلم أنه متسامح مع من يخالفه في الدين تسامحا عمليا"[57] .

وقد عاش أصحاب الديانات عبر التاريخ في كنف الدولة المسلمة وفي ظل الإسلام وبين ظهراني المسلمين قرونا طويلة دون أن يزعجهم أحد أو يطردهم من البلاد أو يحملهم بالقوة على اعتناق الإسلام، وكان إذا فكر أحد الملوك أو الحكام المسلمين في مثل ذلك قام إليه العلماء وردوه عن رأيه بأن ذلك مخالفة صريحة للإسلام فيرجع عن عزمه امتثالا لأحكام الإسلام. إن الإسلام كما يقول الشيخ الغزالي –رحمه الله– "لم يقم على اضطهاد مخالفيه أو مصادرة حقوقهم أو تحويلهم بالكره من عقائدهم أو المساس بأموالهم وأعراضهم ودمائهم وتاريخ الإسلام في هذا أنصع تاريخ على وجه الأرض"[58].

وقد قرر الفقهاء أنه لو أكره أحد على الإسلام فإنه لا يصح منه ذلك قال ابن قدامة في المغني :"وإذا أكره على الإسلام من لا يجوز إكراهه كالذمي والمستأمن فأسلم لم يثبت له حكم الإسلام حتى يوجد ما يدل على إسلامه طوعا"[59].

إن المعاهد في بلاد الإسلام لا يعيش على هامش المجتمع بل يشارك ويخالط أفراده وقد يسند إليه بعض الأعمال التي هي من صميم عمل أهل الإسلام، وقد صرح الإمام الماوردي أن الذمي يمكنه أن يتولى وزارة التنفيذ، وهناك لفتة لطيفة في لفظ أهل الذمة الذي سَمّى به المسلمون أهلَ الكتاب ممن دخل في ذمة المسلمين، فهي تعني العهد والأمان والضمان والحرمة والحق وهو عهد منسوب إلى الله تعالى وإلى الرسول صلى الله عليه وسلم قال ابن الأثير: "وسمي أهل الذمة لدخولهم في عهد المسلمين وأمانهم"[60].

هذه هي معاملة المسلمين لغيرهم من أصحاب الديانات المخالفة، لم يكرهوهم على اعتناق الإسلام، ولم يمنعوهم من أداء شعائرهم، ولم يضيقوا عليهم في حياتهم، بل تركوا لهم كامل الحرية في ممارسة حياتهم على طريقتهم، وهذا بشهادة من هم على دينهم، والفضل . كما يقال . ما شهدت به الأعداء، فهل عاملوا هم المسلمين بمثل معاملتهم لهم عندما تمكنوا منهم؟ نستقرئ التاريخ ثم ننظر وبعدها نحكم.

إن النصارى عندما تمكنوا من المسلمين في الأندلس وفي غيرها من بلاد الإسلام لم يرعوا حرمة لدين ولا لأخلاق ولا لدماء، فقد حملوا المسلمين على التنصر بالقوة وأرغموهم على ترك دينهم، وخاسوا العهود التي كانوا قد وقّعوها معهم على أن لا يمسوهم بسوء، ولا يخرجوهم من ديارهم وأموالهم، ولكن بعد مدة قصيرة لم تتجاوز ثلاث سنوات نقضوا كل تلك العهود وشنوا حملات تنصير وطرد واستئصال واسعة على كل من يعتنق الإسلام، وهذا الكلام ليس تجنيا عليهم ولكن ما تنطق به الوقائع التاريخية وما شهد به علماؤهم المنصفون.

هذه صورة مما ارتكبه الصليبيون في القدس ينقلها لنا جوستاف لوبون في كتابه (حضارة العرب)، حيث يقول: "كان أوّل ما بدأ به ريكاردوس الانجليزي أن قتل أمام عسكر المسلمين ثلاثة آلاف أسير سلّموا أنفسهم إليه بعد أن قطع العهد بحقن دمائهم، ثمّ أطلق لنفسه العنان باقتراف القتل و السلب مما أثار صلاح الدين الأيوبي النبيل، الذي رحم نصارى القدس، فلم يمسّهم بأذى، والذي أمدّ فليب وقلب الأسد بالمرطّبات والأدوية والأزواد أثناء مرضهما"[61].

ويقول مسيحي آخر يدعى يورجا عما ارتكبه الصليبيون من مذابح في حق المسلمين:"ابتدأ الصليبيون سيرهم على بيت المقدس بأسوإ طالع، فكان فريق من الحجاج يسفكون الدماء في القصور التي استولوا عليها، وقد أسرفوا في القسوة فكانوا يبقرون البطون ويبحثون عن الدنانير في الأمعاء، أما صلاح الدين فلما استرد بيت المقدس بذل الأمان للصليبيين ووفى لهم بجميع عهوده وجاد المسلمون على أعدائهم ووطؤوهم مهاد رأفتهم حتى أن الملك العادل شقيق السلطان أطلق ألف رقيق من الأسرى ومنَ على جميع الأرمن وأذن للبطريك بحمل الصليب وزينة الكنيسة وأبيح للأميرات والملكة بزيارة أزواجهن"[62].

وهذه صورة أخرى يقدمها أحد العلماء المسلمين هو المقري التلمساني في كتابه (نفح الطيب) لما قام به النصارى من قتل وإبادة للمسلمين عندما تمكنوا من الأندلس، يقول رحمه الله[63]: "ثم إن النصارى نكثوا العهد، ونقضوا الشروط عروة عروة، إلى أن آل الحال لحملهم

المسلمين على التنصر سنة أربع وتسعمائة"، وقال: "وبالجملة فإنهم تنصروا عن آخرهم بادية وحاضرة، وامتنع قوم من التنصر، واعتزلوا الناس، فلم ينفعهم ذلك، وامتنعت قرى وأماكن كذلك منها بلفيق وأندرش وغيرهما، فجمع لهم العدو الجموع، واستأصلهم عن آخرهم قتلاً وسبياً"[64].

ولقد كان في إسبانيا ملايين المسلمين وكان في جنوب فرنسا وشمال إيطاليا وجنوبيها

مئات الألوف منهم وقد لبثوا في تلك البقاع دهورا طويلا وقرونا عديدة فما زالوا يستأصلونهم منها منذ أن تغلبوا على تلك الديار حتى لم يبق منهم شخص واحد يدين بالإسلام، وصدق الله العظيم إذ يقول: {**كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ**} [التوبة8] ويقول: {**إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودّوا لو تكفرون**}[الممتحنة:2]. ولعلّ من أغرب الحقائق في هذا الجانب ما ذكره أحد وزراء الدولة العثمانية عندما زار إسبانيا فكان مما قاله: "لقد طفت بلاد إسبانيا كلها فلم أعثر فيها على قبر واحد يعرف أنه قبر مسلم"[65]، هل هناك أغرب من هذا؟ حتى القبور نبشوها حتى لا يقال إنه كان مسلمون هناك، وكانت لهم حضارة، مع أن المسلمين كانوا هناك بالملايين وعاشوا فيها ثمانية قرون كاملة (كان فتح الأندلس سنة 89هـ، وكان خروجهم منها سنة 897هـ) وأقاموا فيها حضارة عظيمة مازالت شواهدها قائمة إلى الآن رغم الطمس المتعمد الذي قام به الأوربيون على كل ما هو إسلامي، في الوقت الذي ما زالت بلاد الإسلام في كل مكان تعج بقبور أهل الديانتين المسيحية واليهودية وبخاصة في المغرب الإسلامي، ومازالت كنائسهم لم تمس ولم تتعرض للهدم أو للتحويل كما فعلوا هم عندما تغلبوا على الأندلس والجزائر(في الجزائر العاصمة وحدها كان هناك 112 مسجدا قبل دخول فرنسا واحتلالها للجزائر، لم يبق منها بعد دخول فرنسا سوى أربعة مساجد أما الباقي فقد حوّل إمّا إلى كنائس أو اسطبلات وغير ذلك) من تحويل المساجد إلى كنائس واسطبلات لدوابهم ولأغراض أخرى، يذكر البكري في

تاريخه أنه كان في القرن الثاني عشر الميلادي في تلمسان وهي مدينة جزائرية كنيسة وطائفة من المسيحيين ولم يحملوا على الإسلام بل اختاروا هم طواعية أن يدخلوا فيه بعدما رأوا من تسامح المسلمين معهم، بل بلغ التسامح مع أصحاب الديانات الأخرى حتى كان المجوس وهم عبدة النار يقيمون شعائرهم علنا على عهد عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم.

وكان الحكام المسلمون يستوزرون اليهود والنصارى في حكوماتهم، يذكر المؤرّخ

المصري محمّد لبيب البتنوني في كتابه (تاريخ الأندلس) "أن الخلفاء كانوا وهم في قوّتهم يحترمون عقائد شعوبهم وكان الحكام يوظّفونهم في حكوماتهم فكان منهم الوزراء والأطبّاء، وكان المتوكل العباسي على صلابته في دينه يؤاخذ النصارى على عدم تمسكهم بدينهم كما فعل مع طبيبه حنين، وكان بلغه أنه تفل على صورة السيدة العذراء فحده وسجنه. وفي أيام المعتضد بالله قامت العامة على رجل من النصارى اتهموه بأنه سب النبي واحضروه بين يدي الوزير القاسم بن عبيد الله وطالبوه بإقامة الحد عليه فصرفهم لعدم تحققه من صحة دعواهم، وصلب الخليفة الحكم بن ناصر أحد عماله لأنه بلغه أنه ظلم أحد أهل الذمة"[66]. ويذكر ابن خلدون أنه كان عند المرابطين جيش من المسيحيين وكان قائدهم مسيحيا أيضا وهذا الأمر لم يكن عند المرابطين فقط بل كان عند جميع الدول الإسلامية تستخدم جندا من النصارى، وكان هؤلاء يتمتعون بجميع حريتهم الدينية ويقيمون شعائرها، وإذا ذهبوا إلى الحرب يكونون جيشا مستقلا بنفسه بين جيوش المسلمين، ومما يذكر في هذا الشأن ما ذكره ماسل تري وهو أحد الكتاب الأوربيين من أن الأوربيين الذين كانوا في المغرب تكاثر عددهم سنة 1223م فاستأذن البابا هويوريوس الثاني من سلطان المغرب في ذلك العهد أن يجعل على رأسهم أسقفا فأذن لهم.

ولما جاء القديس لويس ملك فرنسا يحاصر تونس كان في جيش المستنصر الحفصي أمراء من المسيحيين مثل فريديريك القشتلي وفريديريك لانرا وكان جميع هؤلاء النصارى يعيشون

بين المسلمين مع عائلاتهم كأنهم في بلادهم بالإضافة إلى ذلك فإنه كثيرا ما حصل التزاوج بين المسلمين والمسيحيين وكثيرا ما تزوج أمراء مسلمون بمسيحيات ويهوديات، وحسبك من ذلك أن عبد العزيز بن موسى بن نصير فاتح الأندلس تزوج من أرملة لوذريق ملك الأندلس الذي غلبه العرب، وتزوج عثمان بن أبي نسعة بالأميرة لامبيجيا ابنت الدوق أكيتانيا وغير ذلك كثير . وعندما تمكن المسلمون في البلاد الأخرى وأصبحوا هم سادة الدنيا لم يطغوا ولم يتجبروا، بل عاملوا أصحاب الديانات الأخرى بالحسنى، بل إن الإسلام هو الذي أنقذهم مما كانوا يعانون منه من اضطهاد الأمم الأخرى التي كانوا يخضعون لها.

إن الحرب على الإسلام والمسلمين لم تضع أوزارها قط من جانب النصارى، ويكفي أن نذكر ماذا حدث في زنجبار قبل مدة، حيث أبيد المسلمون فيها عن بكرة أبيهم، فقتل منهم اثنا عشر ألفاً وألقي الأربعة الآلاف الباقون في البحر منفيين من الجزيرة! ويكفي أن نذكر ماذا وقع في قبرص، حيث منع الطعام والماء عن الجهات التي يقطنها بقايا المسلمين هناك ليموتوا جوعاً وعطشاً، فوق ما سلط عليهم من التقتيل والتذبيح والتشريد! ويكفي أن نذكر ما كانت تزاوله الحبشة في اريترية وفي قلب الحبشة، وما كانت تزاوله كينيا مع المائة ألف مسلم الذين ينتمون إلى أصل صومالي، ويكفي لتصوير نظرة الصليبيين إلى الإسلام وأن الحرب لم تضع أوزارها في يوم من الأيام أن ننقل فقرة من كتاب لمؤلف أوربي صدر سنة 1944 يقول فيه.

"لقد كنا نخوّف بشعوب مختلفة. ولكننا بعد اختبار، لم نجد مبرراً لمثل هذا الخوف.. لقد كنا نخوّف من قبل بالخطر اليهودي، والخطر الأصفر، وبالخطر البلشفي. إلا أن هذا التخويف كله لم يتفق كما تخيلناه.

إننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا، وعلى هذا يكون كل مضطهد لهم عدونا الألد! ثم رأينا أن البلاشفة حلفاء لنا.

أما الشعوب الصفراء فهنالك دول ديمقراطية كبرى تقاومها. ولكن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام، وفي قوته على التوسع والإخضاع، وفي حيويته.. إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي"[67].

فهذا النص كما نلاحظ يدل على استمرارهم في العداء للإسلام وإصرارهم على تجريمه وإلصاق تهمة العنف والإرهاب به حتى يبرروا إعلان الحرب عليه، رغم كل ما قدمناه من شواهد وأدلة على أن الإسلام بريء من العنف ومن كل أشكال الإرهاب.

خاتمة البحث

هذا البحث يدخل في إطار مقارنة الأديان، وهو علم له أهمية كبيرة في التعريف بالإسلام وبخصائصه وفضائله ومميزاته، لأنه عندما يعرف باطل الأديان الأخرى تبرز فضائل الإسلام حتما، وقديما قال الشاعر:

وإذا أراد الله نشـــــر فضيلة***طويت أتاح لها لسان حســـود

لولا انتشار النار فيما جاورت***ما كان يعرف طيب عرف العود

ويمكن تلخيص أبرز ما خرجت به من هذا البحث فيما يلي:

. إن الدراسات المقارنة في أي مجال من المجالات وفي أي فن من فنون العلم مهمة جدا.

. إن مثل هذه الدراسات ستغير الكثير من القناعات والأحكام المسبقة التي تكون لدى الباحث، بسبب البحث والاطلاع على الكثير من الحقائق.

. لقد تعرفت من خلال هذا البحث على الكثير من العلماء الغربيين والمتدينين الذين أنصفوا الإسلام وقالوا فيه كلمة حق وقاوموا الباطل الذي كان يقوله الكثير من أبناء دينهم، وأمثال هؤلاء يجب دعمهم واستثمار توجههم في خدمة الإسلام في الغرب.

. من الأشياء المهمة التي استفدتها من البحث أن علم الكلام الذي يذمه الكثير من المسلمين ويعتبرونه بدعة في الدين لم يقل بها السلف، له فوائد كثيرة، وأن منهج المتكلمين يمكن استعماله اليوم في مقاومة ما يقوله الغربيون عن الإسلام، وقد اشرت إلى ذلك عند الحديث عن علاقة العقل بالإيمان في الإسلام، فالمتكلمون هم الذين ذهبوا إلى أن أول الواجب هو النظر أي استخدام العقل في معرفة وجود الله وصدق رسوله الأمين.

. الإسلام هو دين السلام والرحمة والتسامح، وهو الدين الذي يحب الخير للجميع، وعندما فتح البلاد الأخرى لم يفتحها ليحتلها كما فعل الأوربيون عندما احتلوا بلاد الإسلام، ولكن فتحها لينشر الخير فيها.

هذه بعض النتائج التي استخلصتها من هذا البحث، وأرجو أن يحظى بالقبول.

الهوامش:

1. انظر كتاب روجي جارودي: محاكمة الصهيونية الإسرائيلية، طبعة دار الشروق، ط1 01419هـ/1999م) صـ20، 41.
2. في ظلال القرآن لسيد قطب (3561/6).
3. رواه أو داود في الديات (باب فيمن سقى رجلا سما أو أطعمه فمات أيُقاد منه) رقم: 4510. وأخرجه الدارمي في دلائل النبوة (باب ما أكرم الله به نبيه صلى الله عليه وسلم من كلام الموتى) رقم: 68.
4. . القدس العربي 2008/01/18.
5. . م ن (08/1/19).
6. . ذكر الإمام القرطبي في تفسيره قصة تبين حفظ الله تعالى لكتابه العزيز عن يَحْيَى بْنَ أَكْثَمَ قال: كَانَ لِلْمَأْمُونِ- وَهُوَ أَمِيرٌ إِذْ ذَاكَ- مَجْلِسُ نَظَرٍ، فَدَخَلَ فِي جُمْلَةِ النَّاسِ رَجُلٌ يَهُودِيٌّ حَسَنُ الثَّوْبِ حَسَنُ

الْوَجْه طَيِّبُ الرَّائِحَة، قَالَ: فتكلم فأحسن الكلام والعبارة، قال: فلما أن تَقَوَّضَ الْمَجْلِسُ دَعَاهُ الْمَأْمُونُ فَقَالَ لَهُ: إِسْرَائِيلِيٌّ؟ قَالَ نَعَمْ. قَالَ لَهُ: أَسْلِمْ حَتَّى أَفْعَلَ بِكَ وَأَصْنَعَ، وَوَعَدَهُ. فَقَالَ: دِينِي وَدِينُ آبَائِي! وَانْصَرَفَ. قَالَ: فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ سَنَة جَاءَنَا مُسْلِمًا، قَالَ: فَتَكَلَّمَ عَلَى الْفِقْه فَأَحْسَنَ الْكَلَامَ، فَلَمَّا تَقَوَّضَ الْمَجْلِسُ دَعَاهُ الْمَأْمُونُ وَقَالَ: أَلَسْتَ صَاحِبَنَا بِالْأَمْسِ؟ قَالَ لَهُ: بَلَى. قَالَ: فَمَا كَانَ سَبَبُ إِسْلَامِكَ؟ قَالَ: انْصَرَفْتُ مِنْ حَضْرَتِكَ فأحببت أن أمتحن هذه الأديان، وأنت مع ما تراني حسن الْخَطِّ، فَعَمَدْتُ إِلَى التَّوْرَاة فَكَتَبْتُ ثَلَاثَ نُسَخ فَزِدْتُ فِيهَا وَنَقَصْتُ، وَأَدْخَلْتُهَا الْكَنِيسَةَ فَاشْتُرِيَتْ مِنِّي، وعمدت إلى الإنجيل فكتب ثَلَاثَ نُسَخ فَزِدْتُ فِيهَا وَنَقَصْتُ، وَأَدْخَلْتُهَا الْبِيعَةَ فَاشْتُرِيَتْ مِنِّي، وَعَمَدْتُ إِلَى الْقُرْآن فَعَمِلْتُ ثَلَاثَ نُسَخ وَزِدْتُ فِيهَا وَنَقَصْتُ، وَأَدْخَلْتُهَا الْوَرَّاقِينَ فَتَصَفَّحُوهَا، فَلَمَّا أَنْ وَجَدُوا فِيهَا الزِّيَادَةَ وَالنُّقْصَانَ رَمَوْا بِهَا فَلَمْ يَشْتَرُوهَا، فَعَلِمْتُ أَنَّ هَذَا كِتَابٌ مَحْفُوظٌ، فَكَانَ هَذَا سَبَبُ إِسْلَامِي. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت671هـ) بتحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش نشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2 (1384هـ/ 1964م).

7. . انظر تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا (289/10).
8. ماهي النصرانية لمحمد تقي العثماني، طبع مكتبة دار العلوم كراتشي (1403هـ/1983م) صـ 35.
9. . صـ 338.
10. . ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لأبي الحسن الندوي صـ 182.
11. المرجع نفسه صـ 182.
12. . المسيحية د. أحمد شلبي، مكتبة دار النهضة، القاهرة. ط10 (1998م) صـ 103.
13. . كان يهوديا فريسيا متشددا من طرسوس واسمه الأصلي "شاؤول"، كان عدوا لتلامذة المسيح وحوارييه وكان شغله الشاغل النيل منهم وتعذيبهم واضطهادهم ثم فجأة ادعى أنه رأى نورا في السماء بينما كان يمشي، وذلك النور ليس سوى المسيح، الذي ناداه وقال له إنه اختاره ليتخذه خادما وشاهدا، وبعد هذه الحادثة زعم أنه آمن بيسوع المسيح، وفي البداية لم يصدقه الحواريون ولكن بعد ذلك صدقوه وأصبح رقما مهما في الديانة المسيحية، وأصبحت له 14 رسالة في الكتاب المقدس. انظر ترجمته في كتاب "ما هي النصرانية" لمحمد تقي العثماني صـ 125 وما بعدها.
14. . انظر : مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب صـ10.
15. . العلمانية للدكتور سفر الحوالي صـ41، قصة النزاع بين الدين والفلسفة لتوفيق الطويل صـ53.
16. . قصة النزاع بين الدين والفلسفة لتوفيق الطويل 8.
17. . العلمانية للدكتور سفر الحوالي صـ41.

18.. م ن صـ41.

19.. ما هي النصرانية، مرجع سابق

20.. انظر كتاب: ما هي النصرانية، مرجع سابق، صـ 38.

21.. ما هي النصرانية، مرجع سابق صـ 73.

22. من مقال للدكتور: محمد أبو الفضل بدران (الشك عند أبي العلاء المعري) منشور في النت http://www.ibn-rushd.org/forum/maarri.htm

23.. ما هي النصرانية، مرجع سابق، صـ 95 نقلا عن إنجيل متى 26: 26، 27، 28.

24.. م ن صـ 95 نقلا عن إنجيل لوقا 22: 19.

25.. تفسير ابن كثير بتحقيق سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية (1420هـ - 1999 م) (29/8).

26.. نقلا عن كتاب: ماذا خسر العالم لانحطاط المسلمين للسيد أبي الحسن الندوي صـ 183.

27.. صـ 183 من طبعة الدار الشامية ط1 (1420هـ/199م).

28.. م ن صـ 183.

29. م ن صـ 185.

30.. الزهد والرقائق لابن المبارك بتحقيق عبد الرحمن الأعظمي صـ 289.

31. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لأبي الحسن الندوي صـ 178.

32.. العدالة الاجتماعية في الإسلام لسيد قطب صـ 9.

33.. ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، مرجع سابق، صـ 190.

34. المرجع نفسه صـ 190.

35. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تأليف: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، النيسابوري الشافعي (المتوفى: 468هـ) تحقيق: صفوان عدنان داوووديدار النشر: دار القلم الدار الشامية دمشق، بيروت ط1 (1415هـ).

36. تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط1 (1422هـ) (116/5).

37.. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ط3 (1420هـ).

38. شرح مشكل الآثار لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: 321هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى - 1415 هـ، 1994 م (33/12).
39.. المواقف في علم الكلام لعضد الدين عبد الرحمن الإيجي، طبع عالم الكتب . بيروت . د. ت، صـ 29.
40.. شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار المعتزلي حققه وقم له عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، ط1 (1384هـ/1965م) (52/1)
41.. القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم لموريس بوكاي طبعة دار المعارف . القاهرة . ط4 د.ت.
42. م ن صـ141.
43. في ظلال القرآن، مرجع سابق، (2943/5).
44.. الإنسان بين المادية والإسلام تأليف: محمد قطب، طبع: دار الشروق، ط12 (1427هـ/2006م).
45. .انظر هذا القول في كتاب (العدالة الاجتماعية في الإسلام) لسيد قطب، طبعة دار الشروق . القاهرة . ط15 (1423هـ/2002م) صـ 192.
46.. انظر هذا القول في كتاب (حياة محمد) لدرمنجهايم ترجمة محمد حسين هيكل، نقلا عن كتاب (الوحي المحمدي) لمحمد رشيد رضا صـ 150. يذكر في هذا السياق أنه كان كل شكل من أشكال معاداة الإسلام . حتى وإن صدرت من أعداء صريحين للكنيسة . يلقى في فترة ما تأييدا حارا من كبار شخصيات الكنيسة الكاثوليكية.
47.. القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم لموريس بوكاي، مرجع سابق، صـ 136.
48.. الدعوة إلى الإسلام: توماس أرنولد نقله إلى العربية حسن إبراهيم حسن وآخرون، نشر مكتبة النهضة المصرية، ط3 (1971م) ص70.
49.. الدعوة إلى الإسلام صـ 65.
50. شمس العرب تسطع على الغرب لزيغريد هونكه، دار صادر بيروت، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي، ط10 (1423هـ) صـ264.
51.. الله ليس كذلك لزيغريد هونكه صـ 41.40.
52.. المرجع نفسه صـ 50
53.. المرجع نفسه
54.. حضارة العرب لجوستاف لوبون صـ 720.
55.. نقلا عن: من حياة التابعين لعبد الرحمن الباشا، دار الأدب الإسلامي، القاهرة، ط15 صـ420.
56. - من مقال لعبد الهادي أبي طالب في جريدة " الشرق الأوسط " ليوم 2002/1/24

57.. تنظر هذه الأقوال في كتاب حاضر العالم الإسلامي مقال لشكيب أرسلان بعنوان: (التعصب الأوربي أم التعصب الإسلامي :الأول هو الأشد لشهادة شهود من أهله).

58.. التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام الشيخ محمد الغزالي صـ6.

59.. المغني لابن قدامة بتحقيق الدكتور عبد الله التركي ط1 (1412هـ)، (291/12).

60. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير صـ 868).

61. حاضر العالم الإسلامي، مرجع سابق، (57/2).

62.. المرجع نفسه (57/2).

63.. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لشهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق إحسان عباس، دار صادر . بيروت (1997م) (527/4).

64.. م,ن

65.. انظر: حاضر العالم الإسلامي، (56/2).

66.. انظر حاضر العالم الإسلامي الجزء الثاني ص 56.

67.. نقلته من كتاب (في ظلال القرآن) لسيد قطب 1630/3.